JQSS – Journal of Quran Sunnah Education and Special Needs
Vol. 7 December 2023, no. e-ISSN 2590-3799

إسهامات أمير المؤمنين عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– في صيانة القرآن الكريم ونشره

(*Contributions of Amīr al-Mu'minīn 'Umar Bin al-Khaṭṭāb -May Allāh be pleased with him- in Preserving and Publishing the Noble Qur'ān*)

Mahamat Ahmat Ousman Ali
Faculty of Islamic Sciences, Al-Madinah International University, Kuala Lumpur, Malaysia

Abdelali Bey Zekkoub
Faculty of Islamic Sciences, Al-Madinah International University, Kuala Lumpur, Malaysia

Article Progress
Received: 15 October 2023
Revised: 1 November 2023
Accepted: 14 November 2023

ملخص البحث

لقد أخذت العناية بالقرآن الكريم تعلمًا وتعليمًا وصيانة ونشرًا حظًا كبيرًا من اهتمام المسلمين من بداية البعثة إلى يومنًا هذا. وكان من الشخصيات التي كانت لها إسهامات تجدر ملاحظتها وإبرازها شخصية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فجاء هذا البحث ليظهر جانبًا من إسهاماته في صيانة القرآن الكريم وحفظه ونشره وتعليمه، وليبرزَ أثرَ القرآن الكريم على شخصيته. واتبع الباحث فيه المنهج الوصفي، فكان من أبرز نتائج البحث؛ أن القرآن الكريم كان له تأثير كبير على شخصية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بدءًا بإسلامه، ثمَّ في خلافته، كما كان من نتائج البحث أن أبرز إسهامات مميزة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب في صيانة القرآن الكريم وكان من أظهرها دوره في مسألة جمع المصحف في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

الكلمات المفتاحية: عمر بن الخطاب، القرآن، السلوك، الإسلام، الخلافة

Abstract

Caring for the Holy Qur'an, learning, teaching, preserving and disseminating it, has taken a great deal of the attention of Muslims from the beginning of the mission to the present day. One of the personalities that had contributions that should be noted and highlighted was the personality of the Commander of the Faithful, Umar ibn al-Khattab, may God be pleased with him. This research came to show a side of his contributions to the preservation, preservation, publication and teaching of the Holy Qur'an, and to highlight the impact of the Holy Qur'an on his personality. The researcher followed the descriptive approach, and it was one of the most prominent results of the research. That the Holy Qur'an had a great influence on the personality of the Commander of the Faithful Omar Ibn Al-Khattab, starting with his conversion to Islam, and then in his succession, as was one of the results of the research that the most prominent distinguished contributions of the Commander of the Faithful Omar Ibn Al-Khattab in the preservation of the Holy Qur'an, and it was shown by his role in the issue of collecting the Qur'an during the era of Abu Bakr Al-Siddiq, may God be pleased with him.

Keywords: Umar ibn al-Khattab, The Qur'an, Education, Islam, caliphate

1. مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الهادي الأمين، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين، أما بعد؛

فقد كان من أسباب الفلاح وطرق النجاح اتخاذ القدوات والتشبه بهم والسير على سيرتهم. ومن أعظم الناس قدرًا وأحقهم بالاتباع بعد الأنبياء هم أولئك الصالحون الذين منهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فقد زكاه النبي ﷺ وأمر بالاقتداء به فقال: "اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر" (الترمذي: 1996، ج5، ص609). وقد شهدت خلافته عناية كبيرة بالقرآن الكريم، كما كانت له مواقف مهمة في العناية بكتاب الله ونشره والتأثر به، مما جعله نموذجًا مهمًا، يلفت نظر أي باحث في مسألة السلوك تجاه القرآن الكريم. ولما كانت له هذه المكانة وكان الناس بحاجة إلى نموذج يقتدون به في سلوكهم مع كتاب ربهم، جاءت هذه الدراسة بعنوان: إسهامات أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صيانة القرآن الكريم ونشره.

يرى الباحث أن تتبع إسهامات أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صيانة القرآن الكريم ونشره، هو أحد الموضوعات المثرية والمهمة لأنه **يساهم في بيان الهدي الذي كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ في تعاملهم مع القرآن الكريم**. فقد كان ولم يزل هدي النبي ﷺ وأصحابه ﷺ محلَّ بذل واجتهاد من العلماء المسلمين.

كما تبدو أهمية الأطروحة من أهمية الشخصية التي هي موضوع الدراسة، فلئن كان الارتباط بالقرآن الكريم والاستجابة له شرفًا لصاحبه، فإنَّ الشخصية التي تستهدفها الدراسة بالبحث، هي أحد أكثر الشخصيات التي يمكن أن يرى الباحث فيها الاستجابة للقرآن الكريم والارتباط به تعلمًا، وتعليمًا، وصيانة، وتخلقًا.

وهذه الدراسة تظهر أهميتها كذلك بأنَّها يمكن أن تكون سببًا من أسباب نيل الرِّفعة والشَّرف التي ينالها من أخذوا القرآن بحقه؛ يقول ربّنا تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ٤٤﴾ [الزخرف: آية ٤٤]. فمن سار على خطى من نالوا شرف القرآن الكريم وازدادوا به كرمًا ورفعة، لابد أن يصل إلى ما وصلوا إليه. وبالعكس فمن أعرض عن سبيل المهتدين، ولم يكن سائرًا على خطى المؤمنين في تعاملهم مع القرآن الكريم، فإنه لا شكَّ من الخاسرين؛ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤﴾ [طه: آية ١٢٤]. وهذه الدراسة وغيرها من المجهودات التي تبذل في الدراسات الشرعية والعلوم الإسلامية تساهم في الوصول إلى شرف العمل بكتاب الله ﷻ.

تأتي هذه الدراسة لإبراز إسهامات أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صيانة القرآن الكريم ونشره، وتسهيل الوصول إلى نماذج عملية للسلوك الأمثل تجاه القرآن الكريم من جهة العناية بالقرآن الكريم صيانة ونشرًا وتعليمًا.

2. تمهيد

2.1 إسهامات الصحابة رضي الله عنهم في تعليم القرآن الكريم ونشره

إن العناية بالقرآن الكريم بتعليم القرآن الكريم ونشره كانت إحدى السمات المميزة لمجتمع الصحابة رضي الله عنهم، ومن هنا فإن العلاقة بين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبين القرآن الكريم، تأتي في سياق مجتمع يعتني بالقرآن الكريم.

وقد كان تفاعل ذلك المجتمع مع القرآن الكريم، ما كان قبيل مقدم النبي ﷺ المدينة، حيث عمل أصحابه الذين أرسلهم ﷺ على تعليم أهل المدينة القرآن الكريم، حتى قرأ النساء والصبيان القرآن، وأسلم مِن أشراف أهل المدينة مَن أسلم بعد سماعه شيئًا مِن القرآن الكريم. وكان النبي ﷺ قد بعث مصعب بن عمير رضي الله عنه وأمره أن يقرئ مسلمي أهل المدينة القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين، فكان يسمى المقرئ بالمدينة: مصعب (ابن هشام: 1990، ج2، ص82). كما جاء من رواية البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: " أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم فجعلا يقرئاننا القرآن، ثم جاء عمار، وبلال، وسعد ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين ثم جاء النبي ﷺ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء، فرحهم به حتى رأيت الولائد والصبيان، يقولون: هذا رسول الله ﷺ قد جاء. فما جاء حتى قرأت: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١﴾ [الأعلى: آية ١] في سور مثلها" (البخاري: 2002، ج6، ص168).

ومن هذا الخبر ونحوه نرى أن الصحابة رضي الله عنهم كانت لهم إسهامات في تعليم القرآن الكريم ونشره، حتى في حياة النبي ﷺ، فكانوا يعلمون بعضهم كتاب الله، وكأن فعلهم يؤسس لجعل العناية بالقرآن الكريم سلوكًا عامًا لا يقتصر على أهل العلم أو القراء.

2.2 حرص عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الوحي

لقد كان دائمًا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قريبًا من القرآن الكريم، منذ إسلامه وفي خلافة أبي بكر الصديق ثم كان خليفة مهتديًا بكتاب الله وقافًا عند حدوده. وقد أبدت مواقف كثير في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان حريصًا على أن يكون قريبًا من النبي وذلك جعله قريبًا من الوحي وشاهدًا تنزيله. وقد تظهر لنا صورة القرب الذي كان يحرص عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه من خلال النظر في بعض ما بلغنا عنه؛ فقد كان الرجل يكون عند النبي ﷺ وهو يحب أن يتعرف على كيفية نزول الوحي، ويود لو أنه رأى النبي ﷺ وهو يوحى إليه، فيجد عمر رضي الله عنه ليريه كيف ينزل الوحي على النبي. وها هو يروي ذلك أبو يعلى بن أمية رضي الله عنه، فيقول: "جاء رجل إلى النبي ﷺ وهو بالجعرانة، عليه جبة وعليها خلوق، أو قال أثر صفرة، فقال: كيف تأمرني أن أصنع في عمرتي؟ قال: وأنزل على النبي ﷺ الوحي، فستر بثوب، وكان يعلى يقول: وددت أني أرى النبي ﷺ وقد نزل عليه الوحي، قال فقال: أيسرك أن تنظر إلى النبي ﷺ وقد أنزل عليه الوحي؟ قال: فرفع عمر طرف الثوب، فنظرت إليه له غطيط، قال وأحسبه قال، كغطيط البكر، قال فلما سري عنه قال: أين السائل عن العمرة؟ اغسل عنك أثر الصفرة، أو قال أثر الخلوق، واخلع عنك جبتك، واصنع في عمرتك ما أنت صانع في حجك" (مسلم: 1991، ج2، ص136).

وهذا القرب الذي كان عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الوحي يعزز أهمية الحديث عن علاقة هذا الصحابي الجليل مع القرآن الكريم.

3. أثر القرآن الكريم في حياة عمر بن الخطاب

3.1 القرآن الكريم سبب إسلامه رضي الله عنه

لقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أحد الشخصيات التي تلقت القرآن الكريم، بقلب غير صادٍ ولا معرضٍ، فكان لذلك أثرٌ بالغ عليه، فأسلم وكان من خيرة أصحاب النبي ﷺ؛ إذ رويَ عنه أنه قال: "خرجت أتعرض رسول الله ﷺ، فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقمت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أعجب من تأليف القرآن، فقلت هذا والله شاعر، كما قالت قريش، فقرأ ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ۝٤١﴾ [الحاقة: آية ٤٠ – ٤١] الآيات، فوقع في الإسلام كلَّ موقع" (الذهبي: 2006، ج2، ص173).

وذُكر في إسلام عمر رضي الله عنه خبر آخر مشهور، وهو ربما أثبت، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "خرج عمر متقلدًا السيف، فقيل له: إن ختنك وأختك قد صَبُؤَا، فأتاهما عمر وعندهما رجل من المهاجرين يقال له: خباب، وكانوا يقرءون ﴿طه﴾، فقال: أعطوني الكتاب الذي عندكم فأقرأه، –وكان عمر رضي الله عنه يقرأ الكتب– فقالت له أخته: إنك رجس، ولا يمسه إلا المطهرون، فقم فاغتسل أو توضأ. فقام عمر رضي الله عنه وتوضأ وأخذ الكتاب فقرأ: ﴿طه﴾" (القرطبي: 2006، ج14، ص5).

فإسلام عمر رضي الله عنه في كلا الروايتين استجابةٌ للوحي وتأثر به، وليس كما كان من صناديد الكفر من قريش، حيث لم يكن من عمر رضي الله عنه إلا أن آمن بما علم أنه الحق، وأما أولئك المستكبرين أهل الضلال فما كان منهم إلا أن أعرضوا مع إقرارهم بمكانة القرآن الكريم وفضله وصدقه.

3.2 كتابة عمر بن الخطاب للقرآن وإرساله لبعض أهل مكة

وقد بقي المجتمع المكي معاديًا لرسالة القرآن عمومًا إلى فتح مكة، واستمرت سلوكيات الإعراض والاستكبار عن القرآن الكريم لدى كفار قريش. وخلال هذه الفترة كان المجتمع المسلم في مكة بقية من المسلمين الذين لم يقدروا على الهجرة، وهذه الطبيعة جعلت مظاهر التفاعل بين المجتمعات المكية وبين القرآن الكريم أقل منها قبل الهجرة؛ إذ لم تعد هي مكان نزول الوحي، وكان المسلمون فيها يفتنون ليرتدوا عن دينهم، أو يستخفي أحدهم فلا يظهر ما هو عليه من الإسلام.

ومع ذلك فقد كان للقرآن الكريم أثره في حياة المكيين، فقد كانت الآيات تنزل لتعالج بعض شأنهم، فينقلها إليهم إخوانهم ممن هاجروا إلى المدينة. فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يروي لنا مظهرًا من مظاهر تفاعل القرآن الكريم مع المكيين بعد الهجرة، يقول: "لما اجتمعنا للهجرة اتعدت أنا وعياش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاص بن وائل، وقلنا: الميعاد بيننا التناضب من أضاة بني غفار، فمن أصبح منكم لم يأتها فقد حبس، فأصبحت عندها أنا وعياش، وحبس هشام وفتن، وقدمنا المدينة فكنا نقول: ما الله بقابل من هؤلاء توبة، قوم عرفوا الله وآمنوا به وصدقوا رسوله، ثم رجعوا عن ذلك لبلاء

أصابهم في الدنيا فأنزلت: ﴿ۚ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر: آية ٥٣]، فكتبتها بيدي كتابًا، ثمَّ بعثت بها إلى هشام، فقال هشام بن العاص: فلما قدِمت عليَّ خرجت بها إلى ذي طُوىً أُصعِّد فيها النظر وأصوبه لأفهمها، فقلت: اللهم فهمنيها، فعرفت إنما أنزلت فينا لما كنَّا نقول في أنفسنا، ويقال فينا، فرجعت فجلست على بعيري، فلحقت برسول الله ﷺ، قال: فقتل هشام بأجنادين" (الذهبي: 2006، ج2، ص314).

وكان القرآن الكريم ينزل بتحريض المسلمين على الانتقال لمجتمع يجدون فيه حريتهم، لئلا يفتنوا عن دينهم، فيبلّغ المسلمون في المدينة إخوانهم بشأن ما ينزل فيهم من الوحي. وقد جاء عن ابن عباس ما يبين هذه الحالة من التفاعل مع القرآن الكريم التي كان يعيشها المسلمون في مكة، قال: "كان قوم من أهل مكة أسلموا، وكانوا يستخفون بالإسلام، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم، فأصيب بعضهم، فقال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين، وأكرهوا! فاستغفروا لهم، فنزلت: ﴿ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ﴾ [النساء: آية ٩٧] إلى آخر الآية، قال: فكتب إلى من بقي بمكة من المسلمين بهذه الآية، لا عذر لهم. قال: فخرجوا، فلحقهم المشركون، فأعطوهم الفتنة، فنزلت فيهم هذه الآية: ﴿ۚ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: آية ١٠]، إلى آخر الآية، فكتب المسلمون إليهم بذلك، فخرجوا وأيسوا من كلّ خير، ثمَّ نزلت فيهم: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٠﴾ [النحل: آية ١١٠]، فكتبوا إليهم بذلك: إن الله قد جعل لكم مخرجًا، فخرجوا، فأدركهم المشركون، فقاتلوهم حتى نجا من نجا، وقتل من قتل" (الطبري: 2001، ج7، ص381).

وفي ذات السياق يأتي ما روى الطبري رحمه الله عن ابن وهب، قال سألته ابن زيد عن قول الله: ﴿ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ فقرأ حتى بلغ: ﴿إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ﴾ [النساء: آية ٩٧ – ٩٩]، فقال: لما بعث النبي ﷺ وظَهر، ونَبَعَ الإيمان، نَبَع النّفاق معه. فأتَى إلى رسول الله ﷺ رجال، فقالوا: يا رسول الله، لولا أنّا نخاف هؤلاء القوم يُعَذبوننا، ويفعلون ويفعلون لأسلمنا، ولكنّا نشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله. فكانوا يقولون ذلك له. فلما كان يوم بدر، قام المشركون فقالوا: لا يتخلَّفُ عنا أحد إلا هَدَمنا داره واستبحنا ماله! فخرج أولئك الذين كانوا يقولون ذلك القول للنبيّ ﷺ معهم، فقتلت طائفة منهم وأُسرت طائفة. قال: فأما الذين قتلوا فهم الذين قال الله فيهم: ﴿ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ الآية كلها ﴿ۗ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ﴾، وتتركوا هؤلاء الذين يستضعفونكم ﴿ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾، قال: ثم عذَر الله أهلَ الصدق، فقال: ﴿ۗ إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا ٩٨﴾، يتوجَّهون له ولو خرجوا لهلكوا، أولئك عسى الله أن يعفو عنهم ﴿ۗ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ﴾ [النساء: آية ٩٧ – ٩٩] إقامَتهم بين ظَهْري المشركين. وقال الذين أسروا: يا رسول الله، إنك تعلم أنا كنا نأتيك فنشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وأن هؤلاء القوم خرجنا معهم خوفًا! فقال الله: ﴿ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ﴾، صنيعكم الذي صنعتم بخروجكم مع المشركين على النبي ﷺ ﴿ۗ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُۚ﴾ خرجوا مع المشركين ﴿ۗ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٧١﴾ [الأنفال: آية ٧١] " (الطبري: 2001، ج7، ص387).

3.3 رجوع عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما يبلغه من القرآن

يبدو سلوك عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع القرآن الكريم، في وقوفه عند آيات الله، وامتثاله لها، من خلال كثير من المواقف في حياته رضي الله عنه، وربما نستطيع رؤية هذه الصفة بصورة واضحة من خلال تأمل موقفه في حادثة وفاة رسول الله ﷺ.

وقد كانت هذه اللحظة أصعب اختبار يمكن أن يواجهه المجتمع المسلم، فلم يكن وقع الخبر هيّنًا على قوم ألفوا أن يعيشوا في كنف رسول الله ﷺ ويهتدوا بهديه، وينالوا من عنايته، وتصيبهم بركته. ثمَّ إن كلَّ حادثة عظيمة كانت تحل بهم رضي الله عنهم في حياته، كان يكفيهم إياها، فإذا هم يجدون أنفسهم في أمر لا يمكنهم أن يصدروا له رسول الله ﷺ، ولا أن يشكوا له وقعه عليهم، ولا أن يسألوه عما يجب عليهم أن يفعلوا. وفي هذا الحدث العظيم كان الناس على ثلاث مراتب؛ مرتبة يمثلها أبو بكر الصديق رضي الله عنه بثباته واستحضاره للوحي وتثبيته للمسلمين، ومرتبة يمثلها باقي الصحابة الكرام الذين ارتابوا أول الأمر ثمَّ لم يلبثوا أن رجعوا إلى الوحي حين ذُكِّروا به، ومرتبة هي أسوء الثلاثة، أولئك الذين ارتدوا على أعقابهم بعد رسول الله ﷺ.

فأمَّا من كانت علاقتهم بالقرآن الكريم سوية، وكانوا يرجعون لهدي الوحي، فقد يظهر لنا الأثر التالي كيف كان سلوكهم في هذا الموقف العصيب، وكيف كان رجوعهم وامتثالهم لهدي القرآن الكريم؛ فعن أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "أنَّ رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسنح، -قال إسماعيل: يعني بالعالية- فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ، قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنه الله، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبله، قال: بأبي أنت وأمي، طبت حيا وميتا، والذي نفسي بيده، لا يذيقك الله الموتتين أبدا، ثم خرج فقال: أيها الحالف، على رسلك، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه، وقال: ألا من كان يعبد محمدا ﷺ فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر: آية ٣٠]، وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران: آية ١٤٤]، قال: فنشج الناس يبكون. قالت [عائشة رضي الله عنها]: فما كانت من خطبتهما من خطبة إلا نفع الله بها، لقد خوف عمر النَّاس، وإنَّ فيهم لنفاقًا، فردهم الله بذلك، ثم لقد بصر أبو بكر النَّاس الهدى، وعرفهم الحق الذي عليهم، وخرجوا به يتلون: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾" (البخاري: 2002، ج5، ص6).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: "والله لكأن النَّاس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشرا من الناس إلا يتلوها. [قال الزهري] فأخبرني سعيد بن المسيب، أن عمر قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت، حتى ما تقلني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها، علمت أن النبي ﷺ قد مات" (البخاري: 2002، ج6، ص14).

فانظر كذلك كيف كان رجوع عمر رضي الله عنه إلى ما سمع من كتاب الله تعالى، حتى قال في خطبته يوم بيعة أبي بكر رضي الله عنه، بعدما حمد الله وأثنى عليه: "أيها الناس إني قد كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت وما وجدتها في كتاب الله ولا كانت عهدا عهدها إلى رسول الله ﷺ، ولكني كنت أرى أن رسول الله سيدبر أمرنا –يقول يكون آخرنا– وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي هدى به رسول الله فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه الله له" (ابن كثير: 2010، ج5، ص248).

فجملة هذه الأخبار التي وردتنا تبدي لنا بجلاء ما كان من استجابة عمر بن الخطاب رضي الله لما يسمعه من الوحي، وقبوله لهدايات القرآن الكريم، وكذلك تبدي عناية هذا الصحابي الجليل بنقل الوحي وتبليغه.

4. مساهمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صيانة القرآن الكريم وحفظه من الضياع والتحريف

4.1 غيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعنايته بصيانة القرآن الكريم

لقد كانت كثيرٌ من أحاديث النبي ﷺ وتوجيهاته لأصحابه الكرام رضوان الله عليهم تؤصل لمعرفة حقيقة القرآن الكريم، وكيفية نزوله، وبيان مكانته، وكيفية التعامل معه، وعلاقته بالكتب التي أنزلت قبله. ومن تلك الأحاديث ما روي عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: "أعطيت مكان التوراة السبع ومكان الزبور المئين ومكان الإنجيل المثاني وفضلت بالمفصل" (الطبري: 2001، ج1، ص96). وكذلك ما جاء في فضل قراءة القرآن الكريم كما في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قول: قال رسول الله ﷺ: "من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها لا أقول آلم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف" (الترمذي: 1996، ج5، ص33).

وقد بيَّن النبي كذلك بعض خصائص القرآن الكريم التي منها أنه نزل على سبعة أحرف، كما في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "أقرأني جبريل على حرف، فلم أزل أستزيده حتى انتهى إلى سبعة أحرف" (البخاري: 2002، ج6، ص184).

وفي هذا السياق تظهر الصلة الوثيقة بين أمير المؤمنين عمر وبين القرآن الكريم، كما يبدو اهتمامه بحفظ القرآن الكريم وصيانته من كلِّ تحريف أو تبديل، وحرصه على سماعه. ولك أن تتأمل ما يروي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ليبدو لك ذلك، إذ يقول: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ كذلك، فكدت أساوره في الصلاة، فانتظرته حتى سلم، ثم لببته بردائه أو بردائي، فقلت: من أقرأك هذه السورة؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت له: كذبت، فوالله إن رسول الله ﷺ أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرؤها، فانطلقت أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله، إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، وأنت أقرأتني سورة الفرقان، فقال رسول الله ﷺ: أرسله يا عمر، اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرؤها، قال رسول الله ﷺ: هكذا أنزلت ثم قال رسول الله ﷺ: اقرأ يا عمر فقرأت، فقال: هكذا أنزلت ثم قال: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه (البخاري: 2002، ج9، ص17).

4.2 جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه

وقد تجلت هذه العناية منه في خلافة الصديق رضي الله عنه من خلاف موقفه في الحادثة التي كانت من أثر حرب المرتدين وأصحاب مسيلمة الكذاب، وفيها قتل كثير من قرَّاء القرآن الكريم. فاستشعر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخطر بهذا الحدث، وكان هو ومن معه من أصحاب النبي ﷺ يمثّلون النموذج الصالح من المجتمع في ذلك الوقت. وخافوا أن يذهب شيء من القرآن، فما كان من إلا أن يبذلوا ما يحفظون به كتاب الله من الضياع، فكان أن جمعوا القرآن في مكان واحد. ويمكن أن نتصور تفاصيل هذه الحادثة من خلال ما يروي لنا زيد بن ثابت رضي الله عنه، إذ يقول: "أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر رضي الله عنه: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف، وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: آية ١٢٨] حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهما" (البخاري: 2002، ج6، ص183).

وفي هذه الحادثة نلاحظ أنَّ قضية صيانة القرآن وحفظه، وإكرام أهله ومعرفة فضلهم، تأخذ مكانة كبيرة من اهتمام الصحابي الجليل عمر بن الخطاب والمجتمع المسلم في زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه. فنرى أن المجتمع كان معتنيًا بحفظ القرآن الكريم حتى إنهم يجعلون ميزة وتسمية خاصة لقرَّاء القرآن الكريم، ثمَّ أنهم انتبهوا لمقتل القراء ومثلت هذه الحادثة بالنسبة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه مسألة جديرة بالعناية، فلم يزل يراجع الخليفة وقتها حتى رأى ما يراه عمر رضي الله عنه، ثمَّ إنَّ الخليفة بذاته جعل القضية اهتمامه، وعيَّن لها مفوضًا خاصًا، لديه الأهلية الكافية. وبعد هذا نرى أن زيد بن ثابت رضي الله عنه، ومن قبله أبو بكر الصديق رضي الله عنه كانوا يستعظمون أن يحدثوا شيئًا في كتاب الله تعالى، ولو لم يكن ذلك الأمر تغييرًا في أصل النص القرآني، وهذا يدل على ما كان في أنفسهم تعظيم القرآن الكريم وحرصهم على صيانته من أي تغيير. فكلَّ هذه المظاهر تدل بوضوح على ما كان في شخصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه من العناية بإكرام القرآن الكريم وصيانته، ومبادرته لما يخدم القرآن الكريم.

ومن جهة أخرى فإنَّ هذه الحادثة تبدي لنا ما كان سلوك القراء في تلك الفترة، إذ تظهر أنهم كانوا أهل الشجاعة الإقدام، وأنهم كانوا يقدمون للشدائد، كما كانوا زمن النبي ﷺ، وهذا الأمر دليل كذلك على ما كان من امتثال القراء في

ذلك الزمان لما يجدون في كتاب ربهم من الهدايات، وتخلقهم بأخلاق القرآن، وحرصهم على العمل بما يوافق النور الذي يحملونه في صدورهم.

5. عناية عمر بن الخطاب بالقرآن الكريم في خلافته.

5.1 المكانة المميزة للقرآن الكريم وأهله

في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذت العلاقة بالقرآن الكريم، شكلًا يمتاز قليلًا عمَّا سبق من حيث ما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجعل لأهل القرآن من مكانة. ويبدوا للباحث أن عمر رضي الله عنه كان ذا عناية شديدة بالقرآن الكريم، قد يكون نتج عنها عناية لدى المجتمع عامة بالقرآن الكريم. وتبدوا العناية المجتمعية بالقرآن الكريم، في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عند النظر إلى موقف ذلك اليهودي الذي يأتي ليحدث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن آية في القرآن الكريم.

يروي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، "أن رجلا، من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرءونها، لو علينا معشر اليهود نزلت، لاتخذنا ذلك اليوم عيدا. قال: أي آية؟ قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: آية ٣]، قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم، والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ، وهو قائم بعرفة يوم جمعة" (البخاري: 2002، ج1، ص18).

فحديث الرجل اليهودي يأتي ليشير إلى مكانة القرآن الكريم في ذلك المجتمع، ومع ذلك نرى قيمة مهمة يشير لها رد أمير المؤمنين، إذ كان برده يؤكد عناية المسلمين بكتابهم وعلمهم بأوقات نزول الآيات وأماكنها، كما أنه يشير إلى حرص ذلك المجتمع على عدم إحداث شيء، في دين الله أو كتابه، لم يكن رسول الله ﷺ عمل به.

هذا وإنَّ النَّاظر إلى هذه الحقبة لا يمكن أن يجاوز ما كان عليه أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه من وقوف عند كتاب الله وتعظيم له وإكرام لأهله. ومما يأتي في سياق بيان هذا الأمر ما نقل القرطبي في قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: آية ١]، فقال: "التي اشتكت إلى الله هي خولة بنت ثعلبة. وقيل: بنت حكيم. وقيل اسمها جميلة. وخولة أصح، وزوجها أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت، وقد مر بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته والناس معه على حمار، فاستوقفته طويلا، ووعظته وقالت: يا عمر قد كنت تدعى عميرًا، ثم قيل لك: عمر، ثم قيل لك: أمير المؤمنين، فاتق الله يا عمر، فإنه من أيقن بالموت خاف الفوت، ومن أيقن بالحساب خاف العذاب، وهو واقف يسمع كلامها، فقيل له: يا أمير المؤمنين، أتقف لهذه العجوز هذا الوقوف؟ فقال: والله لو حبستني من أول النهار إلى آخره لا زلت إلا للصلاة المكتوبة، أتدرون من هذه العجوز؟ هي خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من فوق سبع سماوات، أيسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر؟ (القرطبي: 2006، ج17، ص269).

فمعرفة عمر لخولة رضي الله عنهم هذه المنزلة إنما هو شكل من أشكال توقير ذلك المجتمع لكتاب الله تعالى وما يرتبط به، حتى إنَّ هذا التوقير لينسحب على ما يرتبط بآياته، كما كان في موقف عمر ووقوفه لعجوز يسمع منها طويلًا، كلامًا قد يرى فيه بعض الشدة، وهو أمير المؤمنين.

5.2 خشوع عمر بن الخطاب وجمعه للناس على إمام واحد في صلاة القيام

ومن مظاهر عناية ذلك المجتمع بالقرآن الكريم، عنايتهم بالاجتماع عليه في صلاتهم سواء كانت فريضة أو نافلة، وكذا حرصهم على سماعه، وهذا ما يمكن أن يراه الباحث فيما روى عبد الرحمن بن عبد القاري، قال: "خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرقون؛ يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد، لكان أمثل. ثم عزم، فجمعهم على أبي بن كعب، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم، قال عمر: نعم البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون. يريد آخر الليل، وكان الناس يقومون أوله" (البخاري: 2002، ج3، ص45).

كما أن عمر رضي الله عنه كان مثالًا عمليًا للخشوع عند تلاوة القرآن حيث روي عنه رضي الله عنه: "أنه صلى بالجماعة الصبح فقرأ سورة يوسف فبكى حتى سالت دموعه على ترقوته، وفي رواية: (أنه كان في صلاة العشاء)؛ فيدل ذلك على تكرره منه، وفي رواية: (أنه بكى حتَّى سمعوا بكاءه من وراء الصفوف)" (النووي: 1994، ص86).

وقد كان مظاهر السلوك المجتمعي تجاه القرآن الكريم زمن أمير المؤمنين عمر رضي الله ما جاء عنه من أنه كان يحرص على عدم إشغال الناس بشيء غير القرآن الكريم، ولو كان ذلك هو الحديث الشريف، وكان يأمر بالإقلال من رواية الحديث حرصًا منه على القرآن الكريم، وقد استجاب المجتمع لهذا التوجيه.

5.3 العناية بعدم إشغال الناس عن القرآن الكريم

فهذا قرظة بن كعب رضي الله عنه، يقول: "بعثنا عمر بن الخطاب إلى الكوفة وشيعنا، فمشى معنا إلى موضع يقال له صرار، فقال: أتدرون لم مشيت معكم؟ قال: قلنا: لحق صحبة رسول الله ﷺ، ولحق الأنصار، قال: لكني مشيت معكم لحديث أردت أن أحدثكم به، فأردت أن تحفظوه لمشاي معكم، إنكم تقدمون على قوم للقرآن في صدورهم هزيز كهزيز المرجل، فإذا رأوكم مدوا إليكم أعناقهم، وقالوا: أصحاب محمد، فأقلوا الرواية عن رسول الله ﷺ، ثم أنا شريككم" (ابن ماجه: د،ت، ج1، ص12).

ولم يكن هذا النهي، من عمر رضي الله عنه، زهدًا في الحديث الشريف وإنما حرص على تجريد الوحي كتابًا وسنة، ومنع دخول أي شائبة عليهما، إضافة إلى الرغبة بعدم إشغال الناس عن القرآن الكريم. ويدل على أن النهي من عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يكن زهدًا في الحديث وإنما حرصًا عليه، ما روي عنه رضي الله عنه، أنه: "خرج فجلس على المنبر فتشهد فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد فإني قائل لكم مقالة لا أدري لعلها بين يدي أجلي فمن عقلها ووعاها فليحدث بها حيث تنتهي به راحلته ومن خشي ألا يعينها فلا أحل لأحد أن يكذب علي؛ إن الله تبارك وتعالى بعث

محمدًا ﷺ وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأ بها ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، وأخاف إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، والرجم حق على من زنى من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان حمل أو اعتراف، وايم الله لولا أن يقول الناس: زاد عمر في كتاب الله لكتبتها ألا وإنا كنا نقرأ (لا ترغبوا عن آبائكم فإن كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم)، ثم إن رسول الله ﷺ قال: (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله) ألا وإنه بلغني أن فلانًا قال: لو قد مات عمر بايعت فلانًا فمن بايع امرأ من غير مشورة من المسلمين فإنه لا بيعة له ولا للذي بايعه فلا يغترن أحد فيقول: إن بيعة أبي بكر كانت فلتة ألا وإنها كانت فلتة إلَّا أن الله وقى شرها" (البخاري: 2002، ج8، ص168).

والشاهد من هذا الخبر أن عمر رضي الله عنه بين ما يمنعه من كتابة آية نسخت تلاوتها وبقي حكمها، خشية أن يظن الناس أنه زاد في كتاب الله شيئًا ليس، كما أنه رضي الله عنه بدأ كلامه بأن يحذر من الكذب عليه، وهذا يأتي حرصًا منه على ألا ينقل عنه شيء في دين الله فيكون خلافًا لما قال. وقد روى في ذات الخبر رضي الله عنه حديثًا عن رسول الله ﷺ، في قوله: "لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم...".

5.4 عمر بن الخطاب يعتني بتعليم القرآن الكريم ونشره

وقد كان من مظاهر علاقة المجتمع، في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بالقرآن الكريم، أن انتشر الحرص على تعلم القرآن الكريم ومدارسته وتعليمه، وكانت في هذه الفترة نواة المدارس القرآنية من خلال بعض الصحابة الذين عرفوا بعلمهم بكتاب الله، وصار يقصدهم الناس، كعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وغيرهم.

وكان أمير المؤمنين من أهم المصادر التي يرجع إليها الناس في تعلمهم لكتاب الله، فكان يعتني بجمع الصحابة ومدارستهم، ثمَّ بيان أصحاب الفضل منهم، ومن كانت لهم مزية في علاقتهم بكتاب الله، وفي هذا يمكن أن ننظر إلى ما روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فقال: "كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم، قال: وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولون في ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ ﴾ [النصر: آية ١ – ٢] حتى ختم السورة، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري، أو لم يقل بعضهم شيئا، فقال لي: يا ابن عباس، أكذاك تقول؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ [النصر: آية ١] فتح مكة، فذاك علامة أجلك: فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا. قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم" (البخاري: 2002، ج5، ص149).

وقد كان ابن عباس رضي الله عنهما نموذجًا عمليًا يشهد لما كان عليه ذلك الخليفة الراشد من الحرص على القرآن الكريم، فقد كان ابن عباس رضي الله عنهما يحرص على السؤال عما لا يعلم من كتاب الله، فيروى رضي الله عنه موقفًا بينه وبين عمر رضي الله عنه يظهر جانبًا من عناية ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتعليم كتاب الله تعالى، يقول رضي الله عنه: "لبثت سنة وأنا أريد أن أسأل عمر، عن المرأتين اللتين تظاهرتا على النبي ﷺ، فجعلت أهابه، فنزل يومًا منزلًا فدخل

الأراك، فلما خرج سألته فقال: عائشة وحفصة، ثم قال: كنا في الجاهلية لا نعد النساء شيئا، فلما جاء الإسلام وذكرهن الله، رأينا لهن بذلك علينا حقًا، من غير أن ندخلهن في شيء من أمورنا، وكان بيني وبين امرأتي كلام، فأغلظت لي، فقلت لها: وإنك لهناك؟ قالت: تقول هذا لي وابنتك تؤذي النبي ﷺ، فأتيت حفصة فقلت لها: إني أحذرك أن تعصي الله ورسوله، وتقدمت إليها في أذاه، فأتيت أم سلمة فقلت لها، فقالت: أعجب منك يا عمر، قد دخلت في أمورنا، فلم يبق إلا أن تدخل بين رسول الله ﷺ وأزواجه؟ فرددت، وكان رجل من الأنصار إذا غاب عن رسول الله ﷺ وشهدته أتيته بما يكون، وإذا غبت عن رسول الله ﷺ وشهد أتاني بما يكون من رسول الله ﷺ، وكان من حول رسول الله ﷺ قد استقام له، فلم يبق إلا ملك غسان بالشأم، كنا نخاف أن يأتينا، فما شعرت إلا بالأنصاري وهو يقول: إنه قد حدث أمر، قلت له: وما هو، أجاء الغساني؟ قال: أعظم من ذاك، طلق رسول الله ﷺ نساءه، فجئت فإذا البكاء من حجرهن كلها، وإذا النَّبي ﷺ قد صعد في مشربة له، وعلى باب المشربة وصيف، فأتيته فقلت: استأذن لي، فأذن لي، فدخلت، فإذا النبي ﷺ على حصير قد أثر في جنبه، وتحت رأسه مرفقة من أدم حشوها ليف، وإذا أهب معلقة وقرظ، فذكرت الذي قلت لحفصة وأم سلمة، والذي ردت علي أم سلمة، فضحك رسول الله ﷺ، فلبث تسعًا وعشرين ليلة ثم نزل" (البخاري: 2002، ج7، ص152).

فهذه الآثار تدل على ما كان من حرص المجتمع في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه على القرآن الكريم، من جهة تعلمه وتعليمه ومدارسته. ومن لطيف ما يمكن أن يلاحظه الباحث في خبر ابن عباس رضي الله عنهما أنه بقي سنة وفي نفسه همٌّ تعلم معلومة عن آية من كتاب الله، وفي هذا ما يظهر أن علاقتهم بالقرآن وعلمهم به وتعلمهم له لم يكن موقفًا عابرًا، وإنما كان سلوكًا متأصِّلًا فيهم.

ويؤكد أصالة هذه العناية بكتاب الله ما يروي ابن عباس رضي الله عنهما من خبر الحر بن قيس، قال: "قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته، كهولا كانوا أو شبانا، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، هل لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى هم أن يوقع به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف: آية ١٩٩]، وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافا عند كتاب الله" (البخاري: 2002، ج6، ص60).

ولم هذا السلوك خاصًا بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب والحاشية التي حوله، بل كان سلوكًا عامًا يظهر في المدينة وخارجها، ودليل ذلك ما جاء من "أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بعسفان، وكان عمر يستعمله على مكة، فقال: من استعملت على أهل الوادي، فقال: ابن أبزى، قال: ومن ابن أبزى؟ قال: مولى من موالينا، قال: فاستخلفت عليهم مولى؟! قال: إنه قارئ لكتاب الله عز وجل، وإنه عالم بالفرائض، قال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا، ويضع به آخرين" (مسلم: 1991، ج1، ص٥٥٩).

فتأمل كيف كان مستقرًا عندهم ما لأهل القرآن من مكانة بغض النظر عن أعمارهم، وكذلك انظر كيف كانوا يعرفون وقوف عمر بن الخطاب عند كتاب الله. وهذا من فضل الله على أهل ذلك الزمان، وهو بالعموم يأتي ليعزز معاني العناية والاستقرار في التعامل مع القرآن الكريم في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

6. الخاتمة

ختامًا يخلص الباحث من تتبع سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان للقرآن الكريم أثر كبير في حياته. كما يظهر أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانت له إسهامات واضحة في العناية بالقرآن الكريم، تعلمًا، وتعليمًا، وعملًا، ودعوة، وصيانة، ونشرًا، وإكرامًا.

وقد كان من أبرز ما ساهم به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صيانة القرآن الكريم، ما كان من حضه لأبي بكر الصديق رضي الله عنه على جمع القرآن الكريم لئلا يضيع، بموت حملته من القراء. كما كانت له مساهمة كبيرة في تعليم القرآن الكريم وبيان أحكامه وأسباب نزوله، وحمل الناس على العناية به خصوصًا في فترة خلافته.

ومما يستخلص كذلك من هذا البحث أن في هذه السيرة العطرة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما يحمل كل مسلم على العناية بالقرآن الكريم، الذي يرفع الله به من يصطفيهم من خلقه. ومن خلال هذا تبدو أهمية العناية بالبحث والدراسات القرآنية، خصوصًا المواضيع التي تظهر بها عناية الصحابة رضي الله عنهم بكتاب الله، ليكون ما ينتج من ذلك منارة يهتدي بها من يطلب اتباع الهدى المستقيم.

7. شكر وتقدير

الحمد لله الذي يسر لي إعداد هذا البحث العلمي، الذي جاء مستلا من الرسالة العلمية المقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في برنامج التفسير وعلوم القرآن سنة 2022-2023؛ لغرض استكمال شرط التخرج الأكاديمي، ويسرني في هذا المقام أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير للأستاذ المشارك الدكتور عبد العالي باي زكوب، المشرف على رسالتي للدكتوراه، والمراجع لهذه المستلة العلمية، على ما بذله من نصح وتوجيه، كما أقدم الشكر والتقدير لجامعة المدينة العالمية التي منحتني فرصة استكمال دراسة مرحلة الدكتوراه، ولا يفوتني أن أشكر كل من كان له فضل عليَّ من المعلمين والموجهين والمربين، وأخيرًا أختم بشكر والديَّ وأسرتي، وأشفع الشكر بدعاء خالص بالتوفيق لهم أجمعين.

المراجع

Al-Quran

Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail (2002), Sahih Al-Bukhari, Damascus: Dar Ibn Katheer.

Al-Tirmidhi, Muhammad bin Issa (1996), Sunan Al-Tirmidhi, Beirut: Dar Al-Gharb Al-Islami.

Al-Dhahabi, Muhammad bin Ahmed bin Othman (2006), Biography of the Nobles. Cairo: Dar Al-Hadit.

Al-Tabari, Muhammad Ibn Jarir (2001), Jami' al-Bayan on the Interpretation of Verses of the Qur'an, Cairo: Dar Hajar.

Al-Qurtubi, Muhammad bin Ahmad (2006), Al-Jami' Ahkam Al-Qur'an, Al-Risala Foundation.

Al-Nawawi, Muhyi al-Din Yahya bin Sharaf (1994), Al-Tibian fi Etiquette of the Qur'an Campaign, Beirut: Dar Ibn Hazm.

Al-Nisaburi, Abi Al-Hussein Muslim Ibn Al-Hajjaj Al-Qushayri (1991), Sahih Muslim, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiya.

Bin Hisham, Abd al-Malik bin Hisham bin Ayyub al-Hamiri (1990), The Biography of the Prophet, Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi.

Ibn Katheer, Abu Al-Fida Ismail Ibn Katheer (2010), The Beginning and the End, Damascus: Dar Ibn Katheer.

Ibn Majah, Muhammad bin Yazid Al-Qazwini (n,d), Sunan Ibn Majah, Cairo: Dar Ihya Al-Kutub Al-Arabiya - Faisal Issa Al-Babi Al-Halabi.

Mahamat Ahmat Ousman Ali (Corresponding author)
PhD Student at Faculty of Islamic Sciences,
Department of al- Qurʾān and its Sciences
Al-Madinah International University (MEDIU),
Pusat Dagangan Salak II, No. 18, Jalan 2/125,
Taman Desa Petaling, 57100 Kuala Lumpur, Malaysia
Email: mnoor01@yahoo.fr

Assoc. Prof. Dr. Abdelali Bey Zekkoub
Faculty of Islamic Sciences,
Department of al- Qurʾān and its Sciences
Al-Madinah International University (MEDIU),
Pusat Dagangan Salak II, No. 18, Jalan 2/125,
Taman Desa Petaling, 57100 Kuala Lumpur, Malaysia
Email: bey.zekkoub@mediu.edu.my/ beyzekoub@yahoo.fr